

الأصبهاني، فصنع له تجريدًا نسّق فيه الأخبار المتصلة بترجمة كل شاعر ومغنٍّ ومغنية، إذ حذف المكرر منها، مع المحافظة التامة على مادة الشعر المروية في الكتاب. ووقف كثيرون عند غرض شعري واحد، وجمعوا فيه خير ما استحسنوه للشعراء من الجاهلية حتى عصرهم.

ومن الكتب الغنيّة بمادة الشعر الموروث في العصر خزانة الأدب لابن حجة الحموي، وهي خزانة حافلة بدرر النقد والتعريف باتجاهات الشعراء على مدار الزمن، ويكفي لمعرفة خطرهما في التاريخ الأدبي أنها تحمل موشعًا لديك الجن الحمصي المتوفى في النصف الأول من القرن الثالث الهجري لم يقف عليه الباحثون إلى اليوم مما جعلهم يظنون أن فنّ التوشيح نبات أندلسي خالص لا عهد للشرق به، والطريف أن هذا الموشح يحمل في تضاعيفه ما يدل دلالة قاطعة على صحته من جهة، ومن جهة ثانية على أنه أول صورة لهذا الفن المستحدث، إذ تألفت الأدوار فيه من متسلسلة بين شطورها وبين الكلمتين الأخيرتين في الأبيات السابقة لها التي تسمى في التوشيح باسم الأقفال والمراكز. ومن الكتب النفيسة في العصر كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي المصري الذي يقع في أربعة عشر مجلدًا، وهو حقًا صبح ينشر الأضواء على جوانب النثر الفني الديواني في مختلف الآفاق العربية منذ نشأة الدواوين حتى عصر المؤلف متغلغلا في وصف الدواوين وكل ما يتصل بها، فديوان كديوان الجيش يطلعنا فيه على نظم الجيوش في العصور المتعاقبة، وديوان كديوان البريد يتحدث فيه حديثًا مفصلاً عن مسالك العالم العربي وبلداته وخاصة في مصر والشام، وهو بذلك دائرة معارف ديوانية جغرافية تاريخية سياسية أدبية، يقرن فيها التراث النثري القديم بالتراث المعاصر لزمه وكل ما يطوى فيهما من عقود صلح ومعاهدات سياسية مهمة.

وكثرت في العصر - كما ذكرنا آنفًا - كتب التراجم والسير التي عُنت بالترجمة للشعراء والكتاب ترجمة دقيقة متقنة وكانت لهم إضافات في تمحيص أخبارهم ونقد بعض آثارهم، ولكن ذلك لا يلفتنا، إنما الذي يلفتنا حقًا عند نفر منهم، بل الذي يروعنا، أنهم تنبهوا إلى أن الشاعر لا يحدث فجأة، ولا تحدث